دار ابن خزيمة

العبرة والحياة

الراوي

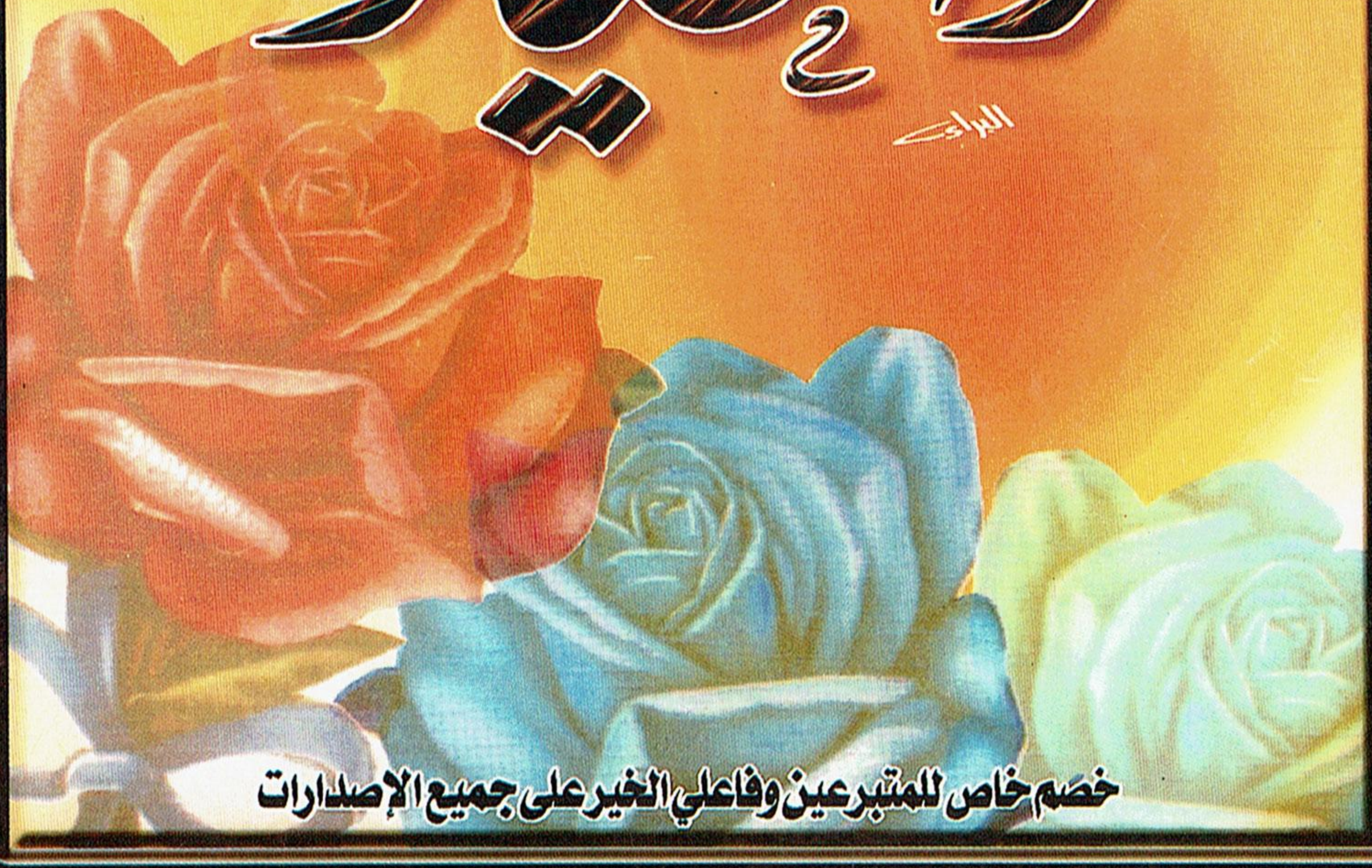

خصم خاص للمتبرعين وفاعلي الخير على جميع الإصدارات

المملكة العربية السعودية - الملز - ش - الأمير عبدالمحسن
شارع الأمير عبدالله سابقاً - هاتف وفاكس : ٤٧٦٩٩٣٢

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد :

فإن من محاسن ديننا الاهتمام بمكارم الأخلاق ، يقول النبي ، ﷺ : « **إنما بُعِثْتُ لأتمم صالح الأخلاق** » . رواه الإمام أحمد .

ولما بعث النبي ﷺ أقر ماكان عليه الجاهليون من أخلاق حسنة ، وألغى ماكانوا عليه من أخلاق رديئة ، وهذب ماكان يحتاج إلى تهذيب .

ومن **مكارم الأخلاق** التي كان الجاهليون يتحلون بها : غيرة الرجل على محارمه ، بل كان بعضهم يشتط في هذا الأمر ويبالغ فيه ، حتى وصل الحال ببعضهم إلى أن يئد بنته خوفا من أن تقع في الفاحشة إذا كبرت . فحرم الشارع هذا وهذب جانب الغيرة وحسنه وجعله من شُعب الإيمان ؛ قال رسول الله ، ﷺ : « **لاشيء أغير من الله** » رواه الإمام أحمد والبخاري . وقال ﷺ : « **إن الله تعالى يغار ، وإن المؤمنَ يغارُ ، وغيرةُ الله أن يأتي المؤمنُ ماحرَّم الله عليه** » . رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم . وقال ﷺ ، في خطبته لما كسفت الشمس : « **يا أمةّ محمد ، ماأحد أغير من الله** » الحديث . رواه البخاري ومسلم .

وقال ﷺ : « **إن من الغَيْرة مايحبّ الله** » الحديث . رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي .

ولما قال سعد بن عبادة - رضي الله عنه : لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربتُه بالسيف غير مُصْفَح . قال النبي ، ﷺ : « **أتعجبون من غَيْرةِ سعد ؟ لأنا أغيرُ منه ، والله أغير مني** » رواه البخاري ومسلم . و (معنى غير مُصْفَح : أن يضربه بحد السيف لا بعرضه ، فالذي يضرب بالحد يقصد القتل بخلاف الذي يضرب بعرض السيف فإنه يقصد التأديب) .

ولقد تحقق الصحابة - رضي الله عنهم - بهذا الأدب النبوي وتمسكوا به ، شأنه شأن غيره من واجبات الإيمان وشعبه ، فلم يكن غريباً من أحدهم أن يَقْتل أو يُقتل بسبب المحافظة على الأمر . روى ابن هشام أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها (ما يجلب للأسواق ليباع فيها)فباعته بسوق بني قينقاع (إحدى قبائل اليهود) وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها - وهي لم تشعر - فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله - وكان يهودياً - وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فسار إليهم النبي ﷺ ، وحاصرهم حتى نزلوا على حكمه ، فأجلاهم إلى الشام .

وعلى هذا مضى سلف الأمة ، ولم يتنازل المسلمون في هذا الخلق أو يفرطوا فيه حتى في فترات الضعف التي مرت بها الأمة الإسلامية ؛ فحينما احتل الصليبيون بعض بلاد المسلمين في الشام ودام احتلالهم لها قرابة قرنين من الزمان ، وهي فترة قد تلقي في بعض النفوس الظن أنهم باقون أبداً حتى ينزل عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، في تلك الفترة سجل المؤرخون أن المسلمين كانوا ينظرون إلى النصارى نظرة احتقار وازدراء وأنهم (دياييث ، يكون الواحد منهم سائراً مع زوجته في الطريق فتلتقي بصديق لها ، فيتنحى الزوج ليتيح للمرأة أن تتحدث مع صديقها ماشاءت من الحديث) .

صور من التفريط في الغيرة والتقصير فيها

ونحن في بلادنا هـذه - عمرها الله بالطاعة - لازلنا خيراً من غيرنـا في هذه المسألة ، وإن كان بعض الناس قد قصروا تقصيراً بيناً . .

● فـتـرى أحـدهم يكون في سـيـارته فـتنزل زوجـتـه وتتـمـادى في مـحـادثة وكـان الأولى مرافقته لها .

● وترى أحـدهم تختلي امرأتـه بالرجـال الأجانب ؛ بالسـائق في السيارة ، أو بـالبائع في المتجر ، أو بـالطبيب في العيادة - أو غير ذلك - ولايرى في هـذا غضاضة . وقد قـال رسول الله ، ﷺ : « **ألا لايخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان** » رواه الإمام أحمد والترمذي .

● ومن ذلك تـرك الرجل امـرأته ومن في ولايتـه يلبسن من الملابس - عند خـرجهن من البيت - مايظهر بعض البدن أو يجسده أو يصف البشرة .

● ومن صور **التفريط** في الغيرة : خروج الـرجل بامـرأته ومحارمـه إلى بعض التجمعات العـامـة كـبـعض الأمـاكن العـامـة التي قـد تتـعـرض المرأة فـيـهـا للأخـتـلاط بالرجـال ،أو تكون عرضة لإطلاق أبصارهم عليها .

● **ومن صور خفة الغيرة** لدى الرجل : تـركه امرأته تسافر بـدون محرم ، قال رسول الله ، ﷺ : « **لايخلون رجلٌ بـامرأةٍ إلا ومعها محْرم ، ولاتسـافر المرأة إلا مع ذي محرم** » . فقام رجل فقال : يـارسول الله ، إن امـرأتي خرجت حـاجة ، وإني اكْتُتبتْ في غـزوة كذا وكـذا . قال : «**انطلق فحُج مع امرأتك** » رواه البخاري ومسلم .

فهذا مجاهـد في سبيل الله أمره النبي ، ﷺ ، أن يعـدل عن الغزو في سبيل الله كي يـرافق امرأته التي خـرجت في سفر فاضل هو سفر الحج ، ومع رفقـة هم أزكى الناس وأتقاهم . ثم إنها قد خرجت ومضت ، ومع كل هذا قال رسول الله ، ﷺ : « **انطلقُ فحج مع امرأتك** » .

أسباب ماسبق :

ماتقدم ذكره من الصـور حكاية لواقع حاصل ومشاهد . ومع هذا فـالصبغة الغالبة ولله الحمـد هي المحافظـة على الأعراض والغيرة عليهـا . فما سبب مايحصل من بعض النـاس من ذهاب الغيرة وزوال الحياء ؟ قبل الخوض في ذلك لنتحدث عن مكانة الحياء ومنزلته في الدين .

الحيـــــاء

الحيـاء شعبـــة من شعب الإيمان ، كما جـاء ذلك في الحديث عـن النبي ﷺ ، فمن قلّ حياؤه نقص إيمانه . وفي الصحيحين عن النبي ، ﷺ ، قال : « **الحياءُ لا يأتي إلا بخير** » . وفي رواية لمسلم : «**الحياءُ خير كلّه** » أو قال «**كلّه خير** » . ويروى عن سلمان الفارسي - رضي الله

عنه - أنه قال : « إن الله إذا أراد بعبدٍ هلاكاً نزع منه الحياء ، فإذا نُزع منه الحياء ، لم تلقه إلا مقيتاً ممقتا» .

وقال الشاعر :

فـــلا والله مـــافي العيش خـــير ولا الـــدنيـــا إذا ذهبَ الحيـــاءُ
يعيش المرءُ مـــا استحيـــا بخـــيرٍ ويبقى العـــودُ مـــا بقي اللّحـــاءُ

وقال آخر :

إن كـأني أرى من لا حيـــاءَ لـــه ولا أمـــانـــة وسط النـــاس عـــريـــاناً

ولخفـة الحيـاء (لـدى المـرأة عـلى وجـه الخصـوص) أسـباب ، منـهـا :

١ - التساهل في التربية عليه منذ الصغر ، فمن شب على شيء شاب عليه :

إن الغصـــون إذا قـــوّمتهـــا اعتـــدلت ولا تلـــين إذا كانـــت مـن الخشـــبِ

٢ - كثرة احتكاك المرأة بالرجال الأجانب ، وكثرة التحدث معهم .

٣ - مخالطة من قل حيـاؤهم ، أو تكررت رؤيتهم ، سواء كان ذلك نـاتجاً عن السفر إلى الخارج أو برؤيتهم في الأسـواق والمنتزهات ، أو مشاهدتهم في المسلسـلات ، أو نحو ذلك ؛ فإن الأخلاق - حسنها وسيئها - تكتسب بالمخالطة .

٤ - ولعل من أهم الأسباب : كثرة خـروج المرأة من بيتها . قال الله عز وجل : ﴿ **وقرن في بيـوتكن** ﴾ . وروى الطبراني بإسنـاد جيـد أن النبي ، ﷺ ، قـال « **المرأة عـورةٌ وإنها إذا خـرجت من بيتهـا استشرفهـا الشيطـانُ ، وإنها لا تكون أقـرب إلى الله منهـا في قَعْـر بيتها** » (استشرفها : تطلع إليهـا ، وطمع بها) . وقال ﷺ : « **لاتمنعوا نسـاءكم المساجـد ، وبيوتُهُن خيرٌ لهن** » رواه الإمـام أحمد وأبـو داود . قـال الحافظ الـدميـاطي - رحمه الله : (قـد صرح ابن خـزيمـة وجماعة مـن العلماء بأن صلاتها في دارهـا أفضل من صـلاتها في المسجـد ، وإن كـان مسجد مكة أو المدينة أو بيت المقدس) انتهى (من المتجر الرابح) .

ولينتبـه العـاقل الفطن إلى أن مـا وصل إليـه الأمـر في بعض بلـدان المسلين من التفسخ والتبذل لم يحدث دفعة واحـدة ، إنما بدأ - في الغالب - بدايات ساذجـة حتى آل الأمر إلى ما آل إليه ، فخذ حذرك .

وبعد فيا أيها المسلم حقق شهادتك أن محمـداً رسول الله ، ﷺ ، بأن تصدقه فيما أخبر ، وتطيعه فيما أمـر ، وتجتنب ما نهى عنه وزجر . وإيـاك أن تخالف أمره اتباعـاً للهوى أو مجاراة لأحد ، أو لغير ذلك من الأسبـاب ، فقد قـال الله عز وجل : ﴿ **فليحذر الـذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنةٌ أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ .

اخراج طباعي امام عرفة نداء : ١١٥٤٩٨٩٥٣